في الأدب الشرقي

صفحات من الشعر الهندي

- ١ -

من ديوان رسالة الشرق

لشاعر الهند العظيم محمد إقبال

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
المدرس بكلية الآداب

محمد اقبال هو شاعر الهند العظيم، وأكبر شعراء الاسلام في عصرنا. درس الفلسفة في انجلترا وألمانيا وتزود من الفلسفة القديمة والحديثة ما شاء له الذكاء والاجتهاد، وعلم الفلسفة في جامعات الهند سنين كثيرة. وهو اليوم قائد من قادة الأفكار في الهند.

وله من الشعر دواوين عدة بلغ فيها الغاية. نظم واحداً منها باللغة الأردية وسماه « بانك درا » أي صلصلة الجرس. ونظم خمسة بالفارسية وهي:

« زبور العجم »، « واسرار خودي »، « ورموز بي خودي »، (اسرار الذاتية ورموز اللاذاتية)، « پيام مشرق » (رسالة المشرق) وقد جعله جواباً للقصائد المشرقية التي نظمها الشاعر الألماني جوته. وآخرها « جاويدنامه » (الكتاب الخالد)

والقطع المترجمة هنا مأخوذة من « پيام مشرق ».

الحياة:

بكى سحاب الربيع في جنح الليل فقال:

ان هذي الحياة بكاء مستمر!

فتلألأ البرق الخاطف أن « قد غلطت. انها لمحة من الضحك!. » ليت شعري من أخبر البستان بهذا، فهو حديث مستمر بين الندى والورد..؟!

الله والانسان:

الله

خلقتُ العالم من ماء واحد وطينه واحده، فخلقتَ أنت القوس والقتار والزج. خلقت من التراب الحديد، فخلقت أنت السيوف والسهام والدافع، وخلقتَ الفأس لأغصان الشجر والقفص لطائر الفرّيد.

الانسان

خلقتَ الليل فخلقتُ المصباح. وخلقتَ الطين فخلقتُ الآنية: خلقتَ الصحارى والجبال والرُّبى فخلقتُ الجنات وحدائق الورد والطرق الشجرة.

أنا الذي صنع المرآة من الحجر!.

وأنا الذي صنع الدواء من السم!.

اليراعة:

سمعت اليراعة تقول: لستُ كالشمعة ينال الناس أذاها. ولست كالفراشة، فاني أشتغل ولا أحمل منّة لأحد. إذا صار الليل أشد حلكا من عين الظبي أنرت بنفسي لنفسي الطريق!!.

الحقيقة:

قالت العقاب بعيدة الرأي للعنقاء: ان الذي يراه ناظري سراب!

فأجاب ذلك الطائر: أنت ترين. ولكني أعلم أنه ماء.

فارتفع صوت السمكة من لجة البحر: أجل يوجد شيء وهو في هياج واضطراب!!..

الحكمة والشعر:

ضل أبو علي [1] في غبار التافة، وأخذت يد الرومي [2]

---

(١) ابن سينا (٢) جلال الدين الرومي الشاعر الصوفي الكبير

بستر الجمل !

هذا غاص حتى ظفر بالجواهر ، وذاك دار مع الفناء على وجه الماء .

الحق إن لم تكن فيه حرقة فهو حكمة . وانما يصير سعيرا حين يقبس من نار القلب !.

الوعدة :

ذهبت الى البحر فقلت للموج المصطخب : أنت في طلب دائم فما خطبك ؟ في جيبك آلاف اللآلئ ، فهل في صدرك كما في صدري ، جوهر من القلب ؟!.

فاضطرب وجزر عن الشاطىء ولم يحر جوابا !.

ذهبت الى الجبل فسألت ما هذا القرار ؟ ألا ينال مسمعك آهات المحزونين وصيحاتهم ؟! إن يكن العقيق في أحجارك قطرات من الدم فحدثني فاني مُرَزّأ .

فانقبض وصمت ولم يحر جوابا !.

قطعت طريقا سحيقا وسألت القمر : يا جوّاب الآفاق ! هل قدر لك منزل لم يوجد ؟ العالم من شعاع وجيك حديقة من الياسمين. فهل نور شاشتك من تجلي قلب لا يوجد ؟

فرأى رقباء بين الأنجم ولم يحر جوابا !.

تخطيت القمر والشمس وصرت الى حضرة الخالق . قلت ليس في عالمك ذرة واحدة تعرفني ! العالم خلو من القلب ، وأنا ، هذه القبضة من التراب كلها قلب ! الورج جميل ، ولكنه ليس كفء تمناتي .

فتبسم ولم يحر جوابا !.

الحور والشاعر .

جواب منظومة جوته (المسماة الحور والشاعر)

الحور :

لا ترغب في الحور ولا ترفع بصرك الي . عجيب أنك لا تعرف طرائق الصحبة !

هذه الأنفاس التي تصهرها والغزل الذي تغنى به كلها نغمة الطلب وكلها حرقة الأمل .

أي عالم من الجمال خلقت بألحانك ؟ فهذه إرم تلوح لي كطلسم من السيمياء .

الشاعر :

تخدعين قلوب السائرين بكلام لاذع ، ولكن لدته لا تبلغ حرارة الشوك ! ماذا أصنع ؟ ان فطرتي لا تسكن الى المقام وان له اقليماً فلقا كالصبا بين الحدائق !

كالطمأنينة ناظر الى وجه جميل خفق قلبي وراء وجه أجمل

إني أريد من الشرر نجما، ومن النجم شمسا . لا أبغي منزلا فان موتى أن أقرّ . كما تناولت قدحا من حميا الربيع قمت فأنشدت غزلا آخر مشوقا الى ربيع جديد . انما أطلب غاية الذي لا غاية له بين لانصبر، وقلب دائم الرجاء . تموت قلوب العشاق بمنة الخلد لا بألحان الألم والغم ، والمؤاساة .

نسيم الصبح :

آتي من صفحات البحار ومن الجبال ، ولكني لست أدري من أين أهب !

أبلغ الطائر المحزون رسالة الربيع . وأنثر في منزله غضة الياسمين .

وأتقلب في المرج، والتف على أغصان الشقائق ، فأبعث من مسامها اللون والرائحة . وأتعلق رقيقا رقيقا بأوراق الورد والزهر حتى لا تنوء أغصانها بحولاني !.

واذا رأيت شاعرا هاجه غم العشق خلطت بنداوته نفسا بعد نفس .

الصقر والسمكة :

قالت سمكة صغيرة لفرخ الصقر :

ان كل ما ترى من سلاسل الأمواج هو البحر . فيه وحوش أشد زمجرة من الرعد القاصف . وفيه صنوف الأهوال ظاهرة وخفية . وفيه السيول جائشة تقلع الصخور ، وتغشى كل شيء . وفيه جواهر متلألئة ولآلئ نيرة . وليس الى الخروج منه سبيل ! هو فوقنا وتحتنا وفي كل مكان . هو أبد الدهر في مأتم متلاطم . لا يناله من دوران الأيام زيادة ولا نقص .

اتقد وجه السمكة بحرقة الحماسة . فضحك فرخ الصقر ، وارتفع من الساحل الى الدوح وصاح : أنا الصقر فالى والأرض ؟ ان الصحارى ، وهي بحار ، تحت أجنحتنا . دع الماء وتعود سعة الهواء . سمكة لا تدركها الا العين البصيرة .

العشق

هذه الكلمة الآخذة بالقلوب بوالغى هى من ولدت اسمه ،
أنا أخبرك من سمعه وأين سمعها !

استرقها الندى من الصبا، فأوحاها الى الورد ، وسمعها عن الورد البلبل[1]، وشمها عن البلبل ريح الصبا هواء[2]

(نغمة حادى الحجاز)

يا ساقى الخطارة وظبى المطارة
وعدّى والشارة[3]
والمال والتجارة ودولتى السيارة
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

جميلة الرواء مطرية الرغاء
محسودة الجوزاء وغيرة الحسناء
بُغية الصحراء !
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

كم غصت فى السراب فى وقدة اليباب
وسرت لم تهاوم فى الليل كالشهاب
والنوم عنك نائى
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

قطعه غم غادى سفيه الرواد
كالحصر فى البوادى تمضين فى سداد
فلذة قلب الحادى !
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

خرقت بالرسوم وسيرك الأنعم
يتعبك القسم لا الجوع والأوام
والسامر المدام
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

شمسه فى الأين مصبحة فى قرن
قرين الحرّ فى الوطن كالخمر تحت اللعن
ابد عراك الحين ![4]
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

سر الصبا تعسا خلف التلال خلسا
والصبح ما تنفسا مزّق هذا الغلسا
والريح ترجى نفسا
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

لحى دواه السقم والروح ملء نعمى
يحدو الركاب كلمى من جارح وبهيم
هلم بنت الحرم !
حتى الخطى قليلا منزلنا قريب !

(١) عشق البلبل للورد يضرب به المثل عند العرب

(٢) تذكر هذه القطعة بأرجوزة أبى العلاء المعرى التى نظمها على لسان سائق الحاج . ومطلعها : دنياك تغدو بالمسافر والمقيم جائما .

(٣) الشارة الزينة والرواء

(١) بلاد مشهورة عند العرب بظلمائها وسكنها

تاريخ الأدب العربى

الطبعة الرابعة

بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات

يبحث فى جميع عصور الأدب العربى بحثاً علمياً يمتاز بدقة التحليل وتحديد الوصف وسلامة الايجاز ، وحسن التبويب وبلاغة الاسلوب وحسن الاختيار. والاشارة الى ما بين الأدب العربى والأدب الفرنسى من صلة أو تشابه أو فرق. وهو على الجملة كتاب فريد فى الثقافة الأدبية العامة للبلاد العربية قاطبة .

ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على ومن إدارة لجنة التأليف والترجمة والنشر وثمنه ٢٠ قرشا صاغا